السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(١٨)

فِيْ جِوَارِ مَلِكِ الحَبَشَةِ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

أَيْنَ نَذْهَبُ يَارَسُولَ اللهِ ؟!

وَتَمْضِي السَّنَواتُ رُوَيْدَاً رُوَيْدَاً، وَيَزْدَادُ التَّعْذِيْبُ عَلَىٰ المُسْلِمِيْنَ مِنْ قِبَلِ المُشْرِكِيْنَ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ!!

ويَخَافُ الرَّسُولُ ﷺ عَلَىٰ الأَتْبَاعِ أَنْ يَقَعُوا في الفِتْنَةِ ، وَلمَّا ازْدَادَتْ شَكْوَى المُسْلِمِيْنَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ ؛ فَكَّرَ صلوات الله وسَلامُهُ عليه باخْتِيَارِ مكانٍ آخرَ غَيْرَ بَلَدِه مَكَّةَ ، عَسَىٰ إِذَا هَاجَر إِلَيْهِ أَتْبَاعُهُ أَنْ يَرْتَاحُوا مِنَ التَّعْذِيْبِ ، وَالتَّنْكِيْلِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِيْنَ : « لَوْ خَرَجْتُمْ إِلىٰ أَرْضِ الحَبَشَةِ ، فَإِنَّ بِهَا مَلِكاً لا يُظْلَم عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ ، حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللهُ

لَكُمْ فَرجاً وَمَخْرَجاً مِمَّا أَنْتُم فِيْهِ » .

وَتَقَدَّمَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ - وَهُمْ فَرِحُوْن مَسْرُوْرُوْنَ - مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَاسْتَفْسَرُوا عَنِ الدِّيْنِ الَّذِي يَدِيْنُ بِهِ أَهْلُ الحَبَشَةِ ، فَعَلِمُوا : أَنَّهُ دِيْنُ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَاسْتَفْسَرُوا كَذَلِكَ عَنْ مَلِكِ الحَبَشَةِ (النَّجَاشِيِّ) ، وَعَلِمُوا أَنَّه كانَ مَلِكاً عَادِلاً .

وَخَرَجَ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلاً وَمَعَهُمْ أَرْبعُ نِسَاءٍ ، وَاتَّجَهُوا إلىٰ مِنْطِقَةٍ علىٰ السَّاحِلِ وَتُدْعىٰ (الشُّعَيْبَة) ، وَكَانَ مِنْهُمُ الرَّاكِبُ ، وَمِنْهُمُ المَاشي ، وَعَيَّنُوا عَلَيْهِمْ أَمِيْراً هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ الله عَنْهُ .

ويَشَاءُ الله تَعَالىٰ أَنْ يُوفِّقَ المهاجِرِيْنَ بالرُّكوبِ في سَفِينتَيْنِ ، وَكَانَ ذَلَكَ في شَهْر رَجَبٍ مِنَ العَامِ الخَامِسِ لِلْهِجْرَةِ .

« أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ... »

وَهُنَـاكَ فـي الحَبَشَـةِ اسْتَقْبَـل النَّجـاشِـيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرَ اسْتِقْبَالٍ ، حَيْثُ أَكْرَمَهُم ، وَفَتَح لَهُمْ بِلادَهُ ، وَسمَحَ لَهُمْ بِمُزَاوَلَةِ مَا يَشَاؤون مِنَ الدَّعْوَةِ ، وَمِنْ إِقَامَةِ الشَّعَائِرِ الدِّيْنِيَّةِ ، وَمَا إِلىٰ هُنَالِكَ .

واقْتَرَحَ أَحَدُهُمْ عَلَىٰ الأَمِيْرِ أَنْ يُرْسِلُوا رِسَالَةً إِلىٰ مَكَّةَ تَحْمِلُ في طَيَّاتِهَا البِشَارَاتِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ ، وَتَحُضُّهُمْ علىٰ الإِسْرَاعِ وَالهِجْرَةِ .

وَبِـالْفِعْـلِ أَرْسَلُـوا رِسَـالَـةً تَشْـرَحُ حَـالَ

المُهَاجِرِيْنَ ، وَلمَّا قُرِئتْ عَلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ اسْتَبْشَرَ وَفَرِحَ كَثِيْراً ، ثُمَّ قَالَ : وَهُوَ يَتَذَكَّر ابْنَتَهُ رُقَيَّـةَ ، والَّتـي خَـرَجَـتْ مَـعَ زَوْجِهـا عُثْمَـان : « صَحِبَهُمَا الله! إِنَّ عُثْمَانَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوْطٍ عَلَيْهِ السَّلامُ » .

* * *

مَرَّةً ثَانِيَةً إِلىٰ الحَبَشَةِ

وَهُرُوباً مِنَ التَّعْذِيبِ الجَسَدِيِّ ، وَالإِهَانَاتِ المُتَكَرِّرَةِ ، فَقَدْ قَرَّرَ قِسْمٌ آخرُ مِنَ الصَّحابَةِ الهِجْرَةَ إِلىٰ الحَبَشَةِ .

وَلمَّا بَلَغَ تَعْدَادُهُم اثْنَيْنِ وَثَمانِيْنَ رَجُلاً وَثَماني عَشْرَةَ امْرَأَةً ؛ اسْتَأْذَنُوا الرَّسُولَ ﷺ ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ جَعْفَرٌ بْنُ أَبي طَالِبٍ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُوْدٍ ، رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ .

وَلمَّا وَدَّعَ الرَّسول ﷺ المُهاجِرِيْنَ ؛ أَرْسَل

مَعَهُمْ رِسَالَةَ وُدٍّ وَاحْتِرَامٍ وشُكْرٍ لِمَلِكِ الحَبَشَةِ (النَّجَاشِيِّ) .

وَهُنَـــاكَ اسْتَقْبَـــلَ المُهَـــاجِـــرون الأوَائِـــلُ المُهَاجِرِيْنَ الجُدُدَ ، وَاصْطَحَبُوهُم إلى النَّجاشِيِّ ، حَيْثُ عَاشُوا عِيْشَةً هَنِيَّةً!! يُؤَدُّونَ مَا عَلَيْهِمْ بِكُلِّ حُرِّيَّةٍ ، لا يَعْتَرِضُهُمْ أَحَدٌ وَلا يَقِفُ في وَجْهِهِمْ أَيُّ إنْسَانٍ .

* * *

فَمَاذَا يَفْعَلُ المُشْرِكُوْنَ ؟

وَلمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِمَا حَدَثَ مَعَ المُسْلِمِيْنَ في الحَبَشَةِ ؛ اتَّفَقَ كِبَارُهُم عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثُوا إلىٰ النَّجَاشِيِّ رَجُلَيْنِ وَمَعَهُمَا الهَدَايَا الكَثِيْرَةُ ؛ لإقْنَاعِ النَّجَاشِيِّ بِطَرْدِ المُسْلِمِيْنَ مِنْ أَرْضِهِ .

وَوَقَعَ الاخْتِيَارُ عَلَىٰ رَجُلَيْنِ يُعْتَبَرانِ مِنْ دُهَاةِ العَرَبِ ، هُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبي رَبِيْعَةَ ، وَعَمْرُو بْنُ العَاص ، فَأُرْسِلا إلىٰ الحَبَشَةِ وَمَعَهُمَا الهَدَايَا ، وَهُنَاكَ وَقَفَ الرَّجُلانِ أَمَامَ النَّجَاشِيِّ وَقَالَ أَحَدُهُمَ : أَيُّهَا المَلِكُ!

إنَّ فِتْيَةً سُفَهَاءَ مِنَّا فَارَقَوا دِيْنَ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ

يَدْخُلوا في دِيْنِكِ ، جَاؤوا بِدِيْنٍ مُبْتَدَعٍ لا نَعْرِفُهُ ، وَقَدْ لَجؤُوا إلى بِلادِكَ ، وَقَدْ بَعَثَنا إلَيْكَ فِيْهِمْ عَشَائِرُهُمْ : آبَاؤُهُمْ ، وَأَعْمَامُهُمْ ، وَقَوْمُهُمْ ؛ لتردَّهُمْ عَلَيْهِم ، فَإِنَّهُمْ أَعْلمُ بِما عَابُوا عَلَيهم وَعَاتَبوهُمْ فِيْهِ .

فقال النَّجَاشِيُّ : لاَ أَرُدُّهم عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ أَدْعُوهُم فَأُكَلِّمُهُمْ ، فَأَنْظُر مَا أَمْرُهُمْ...!

قَوْمٌ لَجَؤُوا إلىٰ بِلادِي ، وَاخْتَارُوا جِوَارِي عَلَى جِوَارِ غَيْرِي ، فَإنْ كانوا كَما يَقُولُونَ أَسْلَمْتُهُمْ إلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُم إلىٰ قَوْمِهِم ، وَإنْ كَانُوا عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهم مِنْهُمْ ، وَأَحْسَنْتُ جِوارَهُمْ ماجَاوَرُوْني!

وَطَلَبَ النَّجَاشِيُّ مِنْ مُسْتَشارِيْهِ أَنْ يَسْتَدْعُوا وَاحِداً ـ أَوْ أَكْثَرَ ـ مِنَ المُسْلِمِيْنَ ، وَذَلِكَ بِهَدَفِ

مُخَاوَرَتِهِ ، وَخَاصَّةً حَوْلَ الدِّيْنِ الجَدِيْدِ الَّذِي آمَنُوا بِهِ .

* * *

وَأُعْجِبَ النَّجَاشِيُّ بِكَلامِ جَعْفَرٍ

وَجَاءَ وَفْدٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ بِزَعَامَةِ جَعْفر بْنِ أَبي طَالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ ، وَلَمَّا مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيِ النَّجَاشِيِّ ؛ سَأَلَهُمْ : مَا هَذَا الدِّيْنُ الَّذِيْ قَدْ فَارَقْتُمْ فِيْهِ قَوْمَكُمْ ، وَلَمْ تَدْخُلوا في دِيْنِي ، وَلا دِيْنِ أَحَدٍ مِنَ هَذِهِ المِلَل ؟

فَقَالَ جَعْفَرٌ رَضيَ الله عَنْهُ : أَيُّها المَلِكُ! كنَّا قَوْمَاً أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُد الأصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ المَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ ، ونُسِيء الجِوَارَ ، وَيَأْكُلُ القَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيْفَ ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنا رَسُولاً مِنَّا

نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَصِدْقَهُ ، وَأَمَانَتَهُ ، وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانا إلى اللهِ ، لِنُوَحِّدَهُ ، وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعُ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُوْنِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ ، وَأَمَرنا بِصِدْقِ الحَدِيْثِ ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الجِوَارِ ، وَالكَفِّ عَنِ المَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّوْرِ ، وَأَكْلِ مَالِ اليَتِيْمِ ، وَقَذْفِ المُحْصَنَاتِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ الله وَحْدَهُ لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَأَمَرَنَا بالصَّلاةِ ، والزَّكَاةِ و... .

فَصَدَّقْنَاه ، وَآمَنَّا بِهِ ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللهِ ، فَعَبَدْنَا الله وَحْدَهُ ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً ، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا ، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا ، فَعَذَّبُونَا ، وَفَتَنُونَا عَنْ دِيْنِنَا ، لِيَرُدُّونَا إلىٰ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ

الخَبَائِثَ ، فَلَمَّا قَهَرُونَا ، وَظَلَمُونَا ، وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا ، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِيْنِنَا ؛ خَرَجْنَا إلىٰ بِلادِكَ ، وَاخْتَرْنَاكَ علىٰ مَنْ سِوَاكَ ، وَرَغِبْنَا في جِوَارِكَ ، وَرَجَوْنَا ألا نُظْلَم عِنْدَكَ أيُّها المَلِكُ!!

فَقَال النَّجَاشِيُّ : وَهَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ الله شَيْءٌ ؟

قَالَ جَعفَرٌ : نَعَمْ ، وَرَاحَ يَتْلُو عَلَيْهِ بَعْضَ الآيَاتِ مِنْ سُوْرَةِ مَرْيَمَ .

فَبَكىٰ النَّجَاشِيُّ ، ثُمَّ قَال : إنَّ هَذَا والَّذِي جَاءَ بِهِ عِيْسىٰ ـ عليه السَّلام ـ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدةٍ[1] ، انْطَلِقَا ، فَوَالله! لاَ أُسْلِمُهُمْ إلَيْكُمَا ، وَلا يُكَادُونَ..!

---

(١) أي : أن القرآن والإنجيل من مصدرٍ واحدٍ هو الوحي مِنَ الله تعالىٰ .

مَكْرٌ... وَلَـكِنْ!!

وَفي الْيَوْمِ الثَّاني ، حَاوَلَ عَمْرو بْنُ العَاصِ اَنْ يُثِيرَ الفِتْنَةَ بَيْنَ المُهَاجِرِيْنَ المُسْلِمِيْنَ وَبَيْنَ النَّجَاشِيِّ ، حَيْثُ قَالَ عَمْرو : أَيُّها المَلِكُ! إِنَّهُمْ يَقُولُوْنَ عَنْ عيسَىٰ إِنَّه عَبْدٌ! فَاسْتَدْعَى النَّجَاشِيُّ جَعْفَراً ، وسَأَلَهُ : مَا يَقُولُ نَبِيُّكُمْ في عِيسىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ؟

قَالَ : أَيُّها المَلِكُ! إِنَّما عِيْسىٰ عَبْدُ الله ، وَرَسُولُهُ ، وَرُوْحُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ العَذْرَاء البَتُول .

فَأُعْجِبَ النَّجَاشِيُّ بِكَلامِهِ ، وَصِدْقِهِ ، وَأَمرَ أَنْ

تُعَادَ الهَدَايَا إلى عَمْرو بْنِ العَاص وَعَبْدِ الله ، وَأَنْ يُخْرَجَا مِنَ الحَبَشَةِ!!

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (١) .

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *

---

(١) سورة الأنفال : ٣٠ .